# الباب الثانى

# قوة إيران الناعمة

## طريقة حرب جمهورية إيران

تتكون طريقة حرب جمهورية إيران من عدة عناصر:

١) الاعتماد على الوكلاء.

٢) استخدام العنف المتدرج.

٣) التركيز على الأبعاد المعنوية والنفسية والروحية للصراع .

٤) الصبر الاستراتيجي.

الحرب بالوكالة فاستخدام عصابات الشوارع وجماعات الضغط العنيفة كأدوات للسياسة المحلية هو تقليد قديم في إيران وهكذا لعب أنصار حزب الله دوراً محورياً في قمع الاضطرابات المحلية في إيران في عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٩ وهذا الشكل من السياسة بوسائل أخرى يجد نتيجته الطبيعية في استخدام إيران للميليشيا والبدائل الإرهابية كأداة للسياسة الخارجية وبالنسبة لطهران فإن الحرب هي وظيفة لأتباعها العرب وليس إلى أقصى حد ممكن لجيشها وعندما أرادت إيران توجيه ضربات لأعدائها كانت تفعل ذلك بتكليف آخرين أو تسهيل العمليات من قبلهم على النحو التالي: كجزء من حربها على الولايات المتحدة سهلت تفجير الثكنات البحرية في ٢٣ أكتوبر ٩٨٣ على يد منظمة الجهاد

الإسلامية وحزب الله مما أسفر عن مقتل ٢٤١ من مشاة البحرية وأدى إلى انسحاب القوات الأمريكية من لبنان.

• رداً على اغتيال الأمين العام لحزب الله الشيخ عباس الموسوي وعائلته على يد القوات الإسرائيلية في ١٦ فبراير عام ١٩٩٢، قام حزب الله بمساعدة وزارة الاستخبارات والأمن الإيرانية، بتفجير السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس في ١٩ مايو عام ١٩٩٢.

• رداً على الهجوم الجوي الإسرائيلي على قاعدة تدريب حزب الله في عين دارة في لبنان في ٢ يونيو عام ١٩٩٤ ومقتل عشرات من مجندي حزب الله ومدربيهم من فيلق الحرس الثوري الإسلامي، فجر حزب الله بمساعدة إيرانية مركز الجالية اليهودية في بوينس آيرس في ١٨ يوليو عام ١٩٩٤ مما أدى إلى مقتل خمس وثمانين شخص وجرح مئات آخرين.

• بعد ستة أشهر من تخصيص الكونجرس الأمريكي ١٨-٢٠ مليون دولار لعمليات سرية في إيران فجر حزب الله السعودي في ٢٥ يونيو عام ١٩٩٦ مجمعاً سكنياً للجيش الأمريكي في منطقة الظهران بالسعودية مما أدى إلى مقتل ١٩ جندي أمريكي وجرح ٣٧٢ فرداً من مختلف الجنسيات وقد خططت تلك العملية قوة القدس التابعة لفيلق

الحرس الثوري الإيراني بمساعدة حزب الله اللبناني في محاولة واضحة لتكرار نجاح تفجير ثكنات بيروت.

إن استخدام إيران للوكلاء يسترشد إلى حد كبير باعتبارات عملية بدلاً من أيديولوجية وهكذا فقد دعمت إيران العديد من جماعات التمرد والميليشيات في العراق حتى إنها كانت تقريباً تدعم كل حصان في السباق فقد دعمت الميليشيات الشيعية مثل فيلق بدر وجيش المهدي وعصائب أهل الحق وكتائب حزب الله في نفس الوقت الذي تدعم فيه حكومة العراق رغم أن الأولى كانت تحارب أحياناً بعضها البعض وعملت في الغالب على تقويض سلطة الأخيرة كما أظهرت في بعض الأحيان استعداداً لإبرام تحالفات تكتيكية مؤقتة مع أعدائها الاستراتيجيين بالعمل مع الجماعات السنية السلفية الجهادية مثل أنصار الإسلام لكسب القدرة على التأثير على حلفائها الأكراد سابقاً، ومع تنظيم القاعدة في العراق لإبقاء جذوة العنف الطائفي مشتعلة ولاستنزاف القوات الأمريكية في العراق.

العنف المتدرج: ففي عام ١٩٨٨، أعدمت إيران آلاف المعارضين المسجونين رداً على هجوم شنته حركة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة من قواعد في العراق أثناء المراحل النهائية للحرب الإيرانية العراقية كما أمرت باغتيال عشرات المعارضين الإيرانيين المقيمين في

أوروبا وغيرها أثناء الثمانينيات وأوائل التسعينيات إلى أن تسبب قتل معارضين إيرانيين أكراد في مطعم في برلين في عام ١٩٩٢ في تمزق العلاقات بين إيران وأوروبا ووضع نهاية لهذه الممارسات وفي عام ١٩٩٨، قتل عملاؤها ستة منشقين ومفكرين خلال فترة رئاسة محمد خاتمي (ما يسمى بسلسلة جرائم القتل) لتخويف حركة الإصلاح.

وقد اتخذت إيران موقفاً مدروساً تجاه حركة المعارضة المحلية التي نشأت في أعقاب انتخابات يونيو عام ٢٠٠٩ وتم الطعن في نتائجها، حيث استفادت مما سبق وتعلمته من المواجهات السابقة وبقيام النظام بتزويد قوات الأمن بالهراوات والعصي والدروع والغاز المسيل للدموع وبتجنب الرصاص الحي لتقليل عدد القتلى، تحاشت طهران جنازات الجماهير الحاشدة التي أشعلت الثورة ضد الشاه وعن طريق ضمان كون مصادمات الشوارع دامية وحدوث شجارات وجهاً لوجه فقد أخاف النظام أولئك الأقل شجاعة بين خصوم النظام وبسوء معاملة وتعذيب وإذلال المعتقلين ثم الإفراج عنهم لكي يتمكنوا من سرد قصتهم لأسرهم وأصدقائهم تكون طهران قد أحبطت الروح المعنوية لعامة الشعب وأخافت السكان.

وتحتفظ إيران بقانون خاص هو الإقامة الجبرية الذي يستلزم فرض العزلة والتهميش ضد أخطر خصومها المحليين كما استخدمت هذا

الأسلوب مع وريث الخميني المخلوع وهو آية الله حسين علي منتظري ووضعت مؤخراً زعماء الحركة الخضراء مير حسين موسوي ومهدي كروبي رهن الإقامة الجبرية والإقامة الجبرية في الغالب تعادل السجن المؤبد الذي ينتهي فقط بموت الضحية كما يبيح ذلك للنظام الاختفاء الفعلي لأفراد بارزين مع تجنب الإجراءات الأكثر تشدداً في ذات الوقت مثل السجن أو القتل خارج نطاق القضاء التي يمكن أن تستحث رداً شعبياً عنيفاً وتخلق انشقاقاً داخل الحلقة الضيقة للنظام.

ومع ذلك، فمنذ الأيام الأولى للثورة جاهدت إيران من أجل تأسيس احتكارها على استخدام القوة والحفاظ عليه ولإيران تاريخ من العناصر المارقة المتطرفة التي تشرع في تصرفات مرفوضة لإجبار الحكومة على عمل ما لا ترغب القيام به، بل ومكافأتهم فيما بعد إذا جلبت اللعبة فوائد للنظام وهكذا استولى الطلاب الراديكاليون على السفارة الأمريكية في طهران في ٤ نوفمبر عام ١٩٧٩ لتقويض جهود الحكومة المؤقتة لإعادة تأسيس علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة ولم يكن الخوميني يعلم مسبقاً بشأن هذا الاستيلاء المخطط له لكنه باركه بعد وقوعه وقد استمر الكثير من خاطفي الرهائن الشباب في تقدمهم حتى أصبحوا سياسيين ومسؤولين بارزين .

وبالمثل، فإن قائد الوحدة البحرية فى فيلق الحرس الثوري التي اعتقلت ١٥ من القوات البحرية الملكية البريطانية ومشاة البحرية الأمريكية دون تصريح في المياه المتنازع عليها في شط العرب في مارس عام ٢٠٠٧ قد تلقى الثناء وقلد وساماً عندما انتهت الحادثة لصالح إيران رغم أنف المملكة المتحدة.

البُعد النفسي والمعنوي والروحي تُظهر خبرة السنوات الثلاثين الماضية أن إيران تركز على أولوية الأبعاد المعنوية والروحية للحرب أكثر من تشديدها على الأبعاد الفيزيائية والتقنية.

وترى معلومات العملية باعتبارها الحاسم في الحرب وفي الوقت الذي تشرع فيه الولايات المتحدة في عمليات المعلومات دعماً لأنشطتها العسكرية تشرع إيران مراراً في أنشطتها العسكرية مثل التدريبات واستعراض القوة والعمليات بالوكالة لدعم عمليات المعلومات.

وفي إيران في عهد الشاه كانت تسجيلات خطب الخميني التي تم توزيعها سراً قد ساهمت في نجاحه وصعوده كزعيم بينما عجلت الدعاية الماهرة بانشقاقات جماعية من قوات الشاه المسلحة وأثنت الكثيرين من الموالين للنظام القديم عن الاستمرار في ولائهم وأثناء حرب العصابات المطولة لحزب الله ضد إسرائيل في جنوب لبنان ١٩٨٢-٢٠٠٠لعبت العمليات النفسية دوراً مركزياً في تقويض التأييد الداخلي الإسرائيلي

لاحتلال جنوب لبنان مما ساهم في انسحاب إسرائيل في مايو عام ٢٠٠٠ولحماية نفسها ضد التدمير الداخلي والحرب النفسية من جانب العدو حاولت إيران أسلمة قوات الأمن والجيش وتغذية ثقافة المقاومة والجهاد والاستشهاد ولهذه الغاية حاولت غرس ما تسميه القيم العلوية والعاشورائية في رجالها المقاتلين بمدح الخصال العسكرية البطولية للإمام علي بن أبي طالب وفضيلة الاستشهاد المتممة لذلك، كما جسدها الإمام الحسين وصحبه الذين تعرضوا لمذبحة على يد قوات الخليفة يزيد على سهول كربلاء في عاشوراء عام ٦٨٠ م.

وعقيدة المقاومة كما مارستها إيران وحزب الله وحماس وسوريا في صراعهم مع إسرائيل والولايات المتحدة تولي أهمية كبرى لتحقيق تأثير نفسي فهي تفترض أن النصر يتحقق بهزيمة روح العدو من خلال إرهاب مدنييه واستنزاف جيوشه وحرمانه من الانتصار في أرض المعركة وعلاوة على ذلك، تفترض أن الصراعات هي مباريات محصلتها صفر وأن التسوية علامة على الضعف وسيتم استغلالها من قبل العدو.

وما تزال إيران مجتمعاً يعاني من جروح الحرب التي كانت بينها وبين العراق والتطهيرات الدموية المتكررة ودوائر القمع المتكررة كما أن ثقافة الاستشهاد والجهاد يعتنقها فقط المتشددون في حزب الله

والباسيج الذين يشكلون فقط جزءاً صغيراً وإن كان مؤثراً من المجتمع الإيراني.

ومنذ أواخر الثمانينيات ساد المنهج الذي يجسده مبدأ مصلحة النظام، رغم أن هذا قد يتغير في نهاية المطاف نتيجة للنجاحات المتصورة لعقيدة المقاومة في لبنان وغزة وفشل المجتمع الدولي في وقف برنامج إيران النووي والقوة المتنامية للاتجاه المهدي الحالي في السياسة الإيرانية منذ انتخاب الرئيس أحمدي نجاد عام ٢٠٠٥.

الصبر الاستراتيجي :تفضل إيران تجنب الانخراط والمواجهات الحاسمة وجهاً لوجه كما أنها أظهرت مراراً تفضيلها استراتيجيات التأجيل واللامباشرة والاستنزاف الحذرة وهكذا فإيران قد:

• أطالت مفاوضاتها مع الاتحاد الأوروبي والدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن + ألمانيا لكسب الوقت لبرنامجها مما مكنها من تحقيق تقدم تدريجي بطيء في هذا الفاصل الزمني.

• أخافت وأوهنت الروح المعنوية للمعارضة الداخلية ومزقتها من خلال إجراء محاكمات صورية لزعماء المعارضة والقيام باعتقالات جماعية وتعذيب المعتقلين وإساءة معاملتهم.

• حاولت إيقاع إسرائيل في فخ صراع استنزافي ومثبط للعزيمة ومفتوح الأجل من خلال حليفيها حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية.

• كانت حذرة في إظهار العداء للولايات المتحدة فقط عن طريق وسائل غير مباشرة بالاعتماد على البدائل مثل حزب الله اللبناني والجماعات الخاصة العراقية.

النزوع إلى التوغل: كثيراً ما يجد المسؤولون الإيرانيون صعوبة في إبرام صفقة أو إنهاء نزاع، ويعود ذلك إلي نهج المباريات التي محصلتها صفر التي يتبعونها في الصراعات وهو ما يقف حائلاً ضد التسوية فضلاً عن أنه في ظل نظام سياسي متسم بالحزبية المتطرفة يخشى النظام من إدعاء المنافسين أن باستطاعتهم الأداء بشكل أفضل (وهكذا فإن قرار إنهاء الحرب بين إيران والعراق عام ١٩٨٨ وتعليق مؤقت لتخصيب اليورانيوم في عام ٢٠٠٣ قد بقيا قضايا جدلية في السياسات الإيرانية) وثمة إحساس ضئيل بجدوى التوصل إلى حل وسط متبادل يحقق تسوية مفيدة للطرفين أو التوصل إلى اتفاق.

## تخطيط الدفاع الإيراني

إن تخطيط الدفاع الإيراني مدفوع بثلاثة عوامل رئيسية هي:

١) العزم على تحويل إيران إلى قوة إقليمية قادرة على إبراز النفوذ عبر أنحاء الشرق الأوسط وما بعده.

٢) الحاجة لردع تهديدات متصورة مختلفة وتجنب تكرار فشل الردع المأساوي الذي أدى إلى غزو العراق لإيران في عام ١٩٨٠ .

٣) الرغبة في الاعتماد على الذات في كل مجالات الحياة الوطنية وهو الهدف الجوهري للثورة الإيرانية.

وتؤمن قيادة إيران أن إيران تلعب دوراً رئيسياً في شؤون العالم بوصفها الحامل القياسي للإسلام الثوري والحارس للمسلمين المضطهدين بل وغير المسلمين في كل مكان وعليه فإنهم يعتقدون أن مصير الأمة يعتمد على قدرة إيران على تحويل نفسها إلى قوة عالمية بمقدورها الدفاع عن مصالح تلك الأمة ودفعها للأمام ويقود هذا التصور طهران أيضاً لدعم الحركات الإسلامية الراديكالية عبر أنحاء الشرق الأوسط لتقويض النفوذ الأمريكي في المنطقة وإعادة تشكيل البيئة الدولية بطريقة موائمة للمصالح الإيرانية وصقل المقدرات الإسلامية الثورية للنظام داخلياً وخارجياً.

وقد تصارعت التوجهات الإسلامية والقومية مع بعضها البعض منذ الثمانينات مما مهد لظهور اتجاه مهدوي بارز على نحو متزايد في أواخر التسعينيات والتوتر بين الإسلام والقومية مستمر حتى اليوم كما

تم الاستشهاد بذلك من خلال الجدل المثار في إيران بسبب تصريحات أحمدي نجاد، وعلى وجه التحديد حول مدرسة الإسلام الإيرانية.

كما تؤمن قيادة إيران بأن إيران هي القوة المهيمنة في الخليج والمنطقة بفضل الجغرافيا والطبيعة السكانية والموارد الطبيعية وهو ما يُترجم إلى رغبة في السيطرة على الخليج عسكرياً ويستلزم القدرة على حرمان الآخرين من استخدامه إن لزم الأمر والدفاع عن مصالحه الحيوية وتأكيد حقوقه في الخليج ضد المنافسين مثل السعودية والولايات المتحدة كما تؤمن بأن النظام الذي أيد القوة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية يتعرض الآن لأزمة وأن الولايات المتحدة قوة آخذة في التدهور وأن إيران قوة صاعدة لذا فهى تعمل على إقامة تحالفات مع القوى المناهضة للوضع الراهن مثل فنزويلا التي تسعى إلى تقييد القوة الأمريكية من أجل التعجيل بتدهورها.

ومع ذلك فهناك فجوة كبيرة بين الصورة الذاتية وتطلعات النظام وواقع الضعف العسكري الإيراني فجهود طهران لتوسيع وتحديث قواتها المسلحة وتعزيز قدراتها العسكرية يُقصد منها جسر هذه الفجوة كما أن مشاكل إيران المالية والضغط الأمريكي على ممولي الأسلحة لها قد منعها من تحقيق هدفها الرامي إلى بناء قوة عسكرية كبيرة ولقد كرست مواردها المتاحة لاكتساب قدرات تقدم أكبر دوي للدفاع الإيراني المحدود

الخافت، بما في ذلك أسلحة مضادة للسفن وصواريخ وقذائف وبنية تحتية يمكن استخدامها لإنتاج أسلحة نووية وبالنظر إلى مشاكلها المالية فالأسلحة النووية ربما تكون هي السبيل الوحيد لإيران لتصبح قوة عسكرية إقليمية بموازنة أفضل: ففي حين إن برنامج الأسلحة النووية قد يكلف مليارات الدولارات إلا أن إعادة بناء قوة إيران التقليدية ستكلف مئات المليارات من الدولارات كما أن سعي إيران وراء المكانة والنفوذ يتجلى في مطالبها المستمرة بالمعاملة بالمثل في علاقاتها مع العالم الخارجي وتحديداً مع القوى العظمى .

وطهران تدعي لنفسها ما يدعيه آخرون لأنفسهم وتطالب الآخرين بما يُطلب منها ورداً على الجهود العراقية لتعطيل صادرات النفط الإيرانية أثناء الحرب بين إيران والعراق أعلنت إيران أنها إذا لم تتمكن من تصدير النفط من الخليج فإنه لن يُسمح لأية دولة أخرى بالقيام بذلك ورداً على المطالب الأمريكية بألا تنتج إيران أسلحة نووية طالبت إيران الولايات المتحدة بالتخلي عن أسلحتها النووية وعندما وافق مجلس الأمن على قرار يفوض الدول الأعضاء بتفتيش السفن الإيرانية المحظورة بموجب قرارات الأمم المتحدة أصرت إيران بأنها ستفعل الشيء نفسه مع سفن الدول المشاركة في عمليات تفتيش من هذا النوع ورداً على إرسال السفن الحربية الإسرائيلية عام ٢٠٠٩ عبر قناة

السويس إلى منطقة الخليج العربي أرسلت إيران بوارجها عبر قناة السويس إلى جوار إسرائيل.

إن تخطيط الدفاع الإيراني مدفوع بالرغبة في تعزيز قدرة الردع ففي أوقات مختلفة واجهت تهديدات حقيقة ومتوهمة من العراق والولايات المتحدة وإسرائيل وأتت تلك التهديدات من الغرب (العراق وإسرائيل) والجنوب (القوات البحرية الأمريكية في الخليج العربي) وتخشى طهران أيضاً ما تتصور كونه محاولات أمريكية لتطويقها كجزء من مساعيها لاحتواء إيران، وهو الخوف الذي غذته الحملات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والعراق المجاورتين.

وتقليدياً، عكست ميول القوات الإيرانية تلك التصورات عن التهديدات فقبل الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ كانت معظم قوات إيران البرية متمركزة قرب الحدود مع العراق بينما كانت معظم قواتها الجوية بالقرب من العراق ومنطقة الخليج العربي كما أن بحريتها كانت ومازالت منشورة في الخليج رغم أن إيران كانت تحاول إقامة اسطول بحري يبحر في مياه عميقة ويكون قادراً على إظهار النفوذ الإيراني وإبراز العلم خارج الخليج بعيداً جداً عن حدود البلاد.

ومنذ نهاية الحرب بين إيران والعراق، كرست إيران نصيب الأسد من دولارات دفاعها المحدودة لتعزيز قواتها البحرية وحربها غير التقليدية

وقوات صواريخها وقذائفها لردع أعدائها واستغلال نقاط ضعفهم إذا فشل الردع.

ومنذ الستينيات استندت القوة القتالية والرادعة الاستراتيجية للولايات المتحدة على ثلاثة أنواع من الأسلحة:الصواريخ الأرضية وقاذفات القنابل الأرضية والغواصات النووية المحملة بصواريخ التي تفكر الولايات المتحدة فى إضافة قدرة هجومية عالمية تقليدية سريعة إليها ومن أجل تعزيز دفاعها وقدراتها القتالية سعت إيران بالمثل إلى خلق مثلث رادع يتكون من:

• قدرات ضد الوصول أو لمنع الوصول لتعطيل صادرات النفط من الخليج العربي، إذا رغبت القيام فى ذلك، لحرمان أعدائها من القدرة على استخدام الخليج كمنصة لإطلاق للهجمات.

• القدرة على زعزعة استقرار الدول المجاورة ذات الأعداد الكبيرة من الشيعة وإطلاق هجمات عنف على العديد من القارات بالاشتراك مع حزب الله اللبناني ومنظمات بديلة أخرى مثل الجماعات الخاصة الشيعية العراقية.

• قوات الصواريخ والقذائف المجهزة برؤوس تقليدية وربما نووية في النهاية وفي المستقبل ربما تسعى إيران أيضاً للحصول على وسائل

توزيع غير تقليدية لترسانتها غير التقليدية مثل القوات الخاصة والمركبات الجوية بدون طيار والقوارب.

وبعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ سعت إيران إلى خلق دعامة رابعة لقوتها الرادعة وهي ميليشيا الباسيج وفيلق الحرس الثوري الإيراني اللذان تم تدريبهما على القيام بحرب عصابات ضد القوات الغازية وفقاً لمفهوم دفاعي لامركزي جديد أو ما يسميه النظام بالمبدأ الفسيفسائي وفي حين خفت التهديد بالغزو، ركزت تلك المنظمات اهتمامها على التهديد المتصور للثورة الناعمة المثارة من قبل الولايات المتحدة وبالإضافة إلى بناء هذه القدرات العسكرية اتخذت إيران خطوات لتعزيز موقفها وصورتها الرادعة عن طريق:

• زرع ثقافة المقاومة والجهاد والاستشهاد لتخويف أعدائها وتعزيز بقاء قوتها.

• بناء خطوط أنابيب للغاز والنفط مع جيرانها (مثل خط أنابيب إيران – باكستان – الهند المجهض وخط أنابيب إيران - تركيا – سوريا الذي أعلن عنه مؤخراً) وربط الدول المجاورة بشبكتها الكهربائية (حيث تقدم للعراق ١٠ بالمائة من احتياجاتها من الكهرباء) بالإضافة إلى المنافع الاقتصادية لهذه الترتيبات يبدو أن طهران تأمل فى أن تكون روابط الاعتماد المتبادل هذه ضمان أن جيرانها وأغلبهم إما شركاء أو حلفاء

للولايات المتحدة سيكون لديهم حافز للتأثير على واشنطن ضد أي هجوم على إيران.

• إقامة روابط مع المجتمعات الشيعية والمسلمة في جميع أنحاء العالم من خلال المشاركة في اختيار شبكات ملالي شيعية ومن خلال التوعية الدينية من قبل المراكز الثقافية الإيرانية التي غالباً ما تعمل فيها عناصر من المخابرات الإيرانية وتأمل إيران أن تكون تلك الروابط ضمان لحشد هذه المجتمعات إلى جانبها إذا ما تعرضت للهجوم وقد استخدمت مراراً الغموض لتعزيز الردع فمنذ عام ٢٠٠٦ وأحمدي نجاد يصرح مراراً أن إيران قوة نووية مستخدماً هذا المصطلح بطريقة يستفيد بها من معانيها المتعددة وبالمثل فقد استخدمت إيران استعراضات قواتها الصاروخية في العروض والتدريبات العسكرية لاستغلال الترابط المتصور بين الصواريخ والأسلحة النووية وهو ما شجعته من خلال تزيينها الصواريخ بلافتات كُتب عليها ينبغي محو إسرائيل من الخريطة.

وسياسة الغموض النووي التي تنتهجها طهران تُعقِّد أيضاً الجهود الأمريكية لإقامة هيكل أمن إقليمي لاحتواء وردع إيران النووية وكما اتضح من الانتقاد العاصف الذي لقيه تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في يوليو عام ٢٠٠٩ فيما يخص مظلة الدفاع الأمريكية للمنطقة فإن مثل هذه التصريحات يمكن أن تؤدي بالأصدقاء والحلفاء

إلى الاعتقاد أن واشنطن قد روضت نفسها على قبول اكتساب إيران للأسلحة النووية في نهاية المطاف، وبذلك يتعزز هدف طهران بأن تتم معاملتها باعتبارها قوة نووية.

الاعتماد على الذات على مدار وجودها كله حيث كانت إيران دولة وحيدة استراتيجياً تفتقر إلى حلفاء يمكن الاعتماد عليهم أو إلى قوة عظمى راعية لها ويعكس هذا جزئياً مكانة إيران كدولة فارسية ذات أغلبية شيعية في منطقة يهيمن عليها الأتراك والعرب السنة، والحقيقة هي أنه منذ ثورة ١٩٧٩واصلت انتهاج سياسات متطرفة تسببت في نفور جيرانها وعزلها دولياً وهكذا فخلال الحرب بين إيران والعراق كانت طهران قد واجهت بغداد وحدها تقريباً كما أن حظر الأسلحة الذي قادته الولايات المتحدة قد عقّد بشكل كبير جهود إيران للحفاظ على مجهودها الحربي فازداد إحساس إيران بالعزلة والشعور بالتخلي عنها بسبب الاستجابة الدولية الفاترة تجاه استخدام العراق لأسلحة كيماوية في تلك الحرب وقد تركت هذه الذكرى جروحاً غائرة في نفسية المواطن الإيراني وغرست ريبة عميقة في المعاهدات الدولية للسيطرة على الأسلحة التي كان العراق أحد الموقعين عليها فضلاً عن منظمات دولية مثل الأمم المتحدة وولّد ذلك عزماً لدى إيران بألا تسمح بتكرار هذه الأحداث المريرة.

ونتيجة لذلك سعت إيران لتطوير صناعاتها العسكرية لكي تخفض اعتمادها على ممولي الأسلحة من الخارج وتقلل من تأثير الحظر مستقبلاً وتخلق أساساً لجيش حديث وبالمثل فإن الرغبة في تحقيق الاعتماد على النفس كانت على الأرجح من بين العوامل التي دفعت إيران للتمسك بالبرنامج النووي.

وأخيراً، فإن الرغبة في الاعتماد على النفس تعكس عزماً على تخليص إيران من الاعتماد على المستشارين والتقنية الغربية لكن على الرغم من بذل جهود دامت ثلاثين عاماً ما تزال إيران تعتمد بشكل كبير على الممولين من الخارج للحصول على أسلحة ومعدات وتقنية متطورة.

## القوة الناعمة الإيرانية:

تُعتبر الثقافة بكافة تفريعاتها ومستوياتها، مصدرًا مهمًا من مصادر توليد القوة الناعمة لأية دولة، حتى إن الكثير من الباحثين ظلّوا وقت طويل يفهمون ويفسرون القوة الناعمة على أنها تكاد تقترن بالتأثير الثقافي، قبل أن يعودوا ويوسعوا دائرتها وتُعرف الثقافة بأنها مجموعة القيم والممارسات التي تترك معنى بالنسبة للمجتمع، والتي من الممكن أن تأتي بعدة أشكال، مثل ثقافة النخبة (الأدب، الفن، التعليم العالي)، أو الثقافة الشعبية التي تستهوي الجماهير وتمتلك إيران مخزونًا كبيرًا لتوليد القوة الناعمة من هذا المصدر عبر:

**اللغة:** يرى بعض الباحثين الإيرانيين أن اللغة الفارسية عنصر أساسي في جذب الأمم الأخرى على اعتبار أنها دخلت في تركيب العديد من اللغات الأخرى السائدة اليوم في العالم كاللغة التركية والهندية والأوردية، والأرمينية، والجورجية، والسواحلية وغيرها، وأن ليس هناك عدد كبير من اللغات حول العالم يخلو من الفارسية

**البعد الحضاري:** كما أن باستطاعة البلاد استثمار ما تقول إنه حضارة تعود إلى ٣ آلاف سنة إلى الوراء زاخرة بالتاريخ والخبرة بالتأثير على المناطق المجاورة، التي مارستها عليها طوال فترة تمتد منذ زمن الأخمينيين مرورًا بالساسانيين وغيرهم ممن أنشأوا إمبراطورية تمتد من هيليسبونت غرب تركيا اليوم إلى شمال الهند، ومن مصر حتى آسيا الوسطى على حدود كازاخستان اليوم.

**السياحة:** وتُصنَّف إيران على أنها واحدة من عشر دول سياحية هي الأفضل من ناحية التاريخ والمواقع الأثرية، وتجذب حوالي ٣,٢ مليون سائح سنويًا وفق أرقام عام ٢٠١١ الغالبية العظمى منهم للسياحة الدينية، فقط ٢٠ ألف سائح منهم ليس لأسباب دينية مع خطط لجذب ٢٠ مليون بحلول عام ٢٠٢٥

**الفن والمناسبات الثقافية:** وبنظرة خاطفة على الاحتفالات والمناسبات الفارسية التي تقام، يكفي الالتفات إلى عيد النيروز الذي يُعتبر مؤشرًا

على التأثير الكبير للثقافة الإيرانية على الثقافات الأخرى، ناهيك عن الفن والشعر والتأليف كما يلعب المهاجرون الإيرانيون دورًا كبيرًا في نشر الثقافة الفارسية سيما وأن حجمهم يُقدّر بحوالي ٤ إلى ٥ مليون إيراني في المهجر ناهيك عن حوالي مليون و٣٤٠ ألف وُلدوا في المهجر وهم على ديانات مختلفة، منها: الإسلام، والمسيحية، والبوذية، والهندوسية، واليهودية، وغير المنتمين إلى أي دين.

القيم السياسية : تمتلك إيران نظامًا سياسيًا هجينًا إن صحّ التعبير يبتكر مفهوم الديمقراطية الدينية باعتباره نموذجًا فريدًا من نوعه يصلح أن يكون مصدرًا من مصادر القوة الناعمة الإيرانية لما يقدمه من جديد في هذا الموضوع، وكونه بديلاً عن النظم التقليدية المعروفة في العالم يقول رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني: إن إحدى أهم مآثر الخوميني على الإطلاق، تكمن في أنه قدّم نموذجًا للديمقراطية الدينية التي تستند إلى التصويت الشعبي ومقاومة الظالم بما يتماشى مع القيم الإسلامية ويقود النظام طبقة من رجال الدين الملالي على رأسهم الولي الفقيه المرشد الأعلى، ويفتح المجال واسعًا للانتخابات أن تأخذ مكانها في النظام السياسي لتفرز قيادات بشرعية شعبية، وتتيح حرية الاختيار للجميع، وقد استمر هذا المنوال تراكمياً منذ عام ١٩٧٩ وحتى اليوم.

على صعيد السياسة الخارجية: يمكن للسياسة الخارجية أن تكون مصدرًا أساسيًا من مصادر القوة الناعمة لأية دولة خاصة إذا كانت تحمل قيمًا سامية أو مبادرات تعزز العلاقات الثنائية والإقليمية والدولية ويمكن للسياسة الخارجية أن تزيد من فعالية وتأثير القوة الناعمة للبلاد إذا ما نُظِر إليها من قِبل الدول الأخرى والشعوب الأخرى على أنها شرعية وأخلاقية وفي حالة إيران، تكتسب السياسة الخارجية أهمية قصوى لأنها المصدر الأكبر من مصادر توليد القوة الناعمة للبلاد والأكثر فعالية وتأثيرًا على الإطلاق ويتضمن الدستور الإيراني إشارة واضحة إلى السياسة الخارجية للبلاد ضمن الفصل الأول المخصص للأصول العامة؛ إذ يشير البند ١٦ من المادة الثالثة من الفصل الأول من الدستور إلى هذا الموضوع بالقول: تنظَّم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين والحماية الكاملة لمستضعفي العالم.

أما الفصل العاشر فيتضمن أربع مواد، تقول المادة ١٥٢: تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس الامتناع عن أي نوع من أنواع التسلط أو الخضوع، والمحافظة على الاستقلال الكامل، ووحدة أراضي البلاد، والدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعدم الانحياز مقابل القوى المتسلطة، وتبادل العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة.

وهذا يُعتبر مصدرًا أساسيًا من مصادر القوة الناعمة لدى إيران، وإذا ما أضيف إلى الأيديولوجية الإيرانية وهي عبارة عن مجموعة من الأفكار الثورية والمبادئ الدينية، فإنها تُعد المصدر الأساسي والأكبر في توليد القوة الناعمة للبلاد.

## تمدد الحدود الإيرانية والقوة الناعمة

لا يمل بعض المسؤولين الإيرانيين من تذكير العرب واللبنانيين والسوريين بالتاريخ الإمبراطوري القديم لبلادهم في معرض المفاخرة بامتداد نفوذهم إلى البحر الأبيض المتوسط، فيثيرون حفيظة هؤلاء آخرهم كان أحد قادة الحرس الثوري السابقين الجنرال إبراهيم همداني، الذي قال إن بشار الأسد يقاتل بالنيابة عن إيران، وإن بلاده مستعدة لإرسال ١٣٠ ألف مقاتل من الباسيج إلى سورية جُندوا في مختلف المحافظات الإيرانية، وعن تشكيل حزب الله السوري وقبله كان مستشار المرشد الأعلى الفريق يحيى رحيم صفوي أعلن أن حدود بلاده الغربية تصل إلى جنوب لبنان، في إشارة إلى ذراع إيران في لبنان، أي حزب الله، وإلى الوجود المباشر للحرس لكن الأهم في كلامه قوله إنها المرة الثالثة التي يبلغ فيها نفوذنا سواحل البحر الأبيض المتوسط، في إشارة أخرى إلى حدود الإمبراطوريتين الفارسيتين الأخمينية سنة ٥٥٠ قبل الميلاد، والساسانية سنة ٢٢٦ بعد الميلاد وبين التصريحين أذيع خبر

عن أن بين جثث الذين يعادون إلى إيران نتيجة القتال في سورية، أفغاناً من اللاجئين إلى بلاد فارس من بلادهم.

وفي عودة سريعة إلى مراجع التاريخ القديم، نجد أن الإمبرطورية الأخمينية بلغت أوجها باحتلال آسيا الوسطى والصغرى وغزو جيوشها جنوب روسيا ومناطق الخليج والمشرق من بابل في بلاد الرافدين إلى بلاد الشام إلى مصر وانهزم الأخمينيون على يد الإسكندر الأكبر المقدوني الذي أقام إمبراطوريته على أنقاضهم أما الإمبراطورية الساسانية، فقد انهزمت على يد الفتح الإسلامي في القرن السادس، بعد أن كان توسعها في بعض أوروبا أدى إلى حروب مستمرة أنهكتها مع الرومان.

وتقول كتب التاريخ إن ملوك الفرس اهتموا بتنظيم جهاز الأمن الذي كان يتولاه موظفون عرفوا باسم أعين الملك وآذانه، وكانت مهمته المراقبة والتفتيش في الولايات وإطلاع الملك على أحوالها ولتنظيم الاتصال بين العواصم والولايات شُقّت الطرق وطُوّر البريد وأُصلحت الطرق القديمة ونظمت الرحلات البحرية الاستكشافية للتعرف على خطوط جديدة للاتصال وتراكمت نتيجة ذلك ثرواتٌ كبيرة بلغت أطناناً من الفضة والذهب وكانت الدنانير تنفق في تجنيد المرتزقة وشراء ضمائر العملاء قبل تحريك الجيوش ولقلة النقد من المعادن الثمينة، لجأ ملوك

فارس إلى الاستقراض والاستدانة بالفائدة، ولجأت الدولة الفارسية إلى فرض تصنيع ما كانت تحتاج إليه من الفخار والزيت والخمور على الولايات الغربية في آسيا الصغرى ومصر وسورية، لكن فرض الضرائب كان يؤدي إلى انتفاضات محلية كما وقع في مصر التي استردت حريتها من الاحتلال الفارسي.

وكان سقوط الإمبراطوريتين الإيرانيتين متزامناً مع الصعوبات الداخلية التي عاناها كل منهما نتيجة البطش الذي مارسه ملوكهما على الشعب، وفي الحالتين كانت هناك مبالغات في تصوير اتساع دولة فارس في العصور القديمة، لأن بلاد فارس كانت إبان الإمبراطوريتين في حالة حرب مع الدول الأخرى، وبالتالي لم تكن في أي عصر ثابتة الحدود، التي كانت تتسع في أيام الملوك الأقوياء وتنقبض في عصور الضعفاء.

لكن من المؤكد أن الأحلام الإمبراطورية للمسؤولين الإيرانيين الحاليين لا تتبع وسائل الحكام القدامى، وإن كانوا يتوسلون بعضها الآن وفي المقابل، فإن من يقاومون التوسع الإمبراطوري الموهوم لا يستخدمون الأساليب نفسها للقوى التي أجبرت حكام فارس في العصور القديمة على التراجع عن مساحات توسعت فيها، فليست الحروب هي التي تشكل الخيارات المطروحة عند الدول الغربية والعربية لتقليص حدود ايران وتعتمد هذه الدول على القوة الناعمة وحرب المال

والاقتصاد والعقوبات كأساس في الصراع على امتداد النفوذ وتشكيل الأذرع الأمنية، إضافة إلى المواجهات مع جهاز الأمن الإيراني، الذي يشكل عيون الملك الفارسي وآذانه.

وإذا كان سيمر وقت قبل أن تعود طهران إلى حدودها الطبيعية، فإنها بالقدر الذي تعلن عن تمدد حدودها فإنها ستبقى في حالة حرب مع خصومها للحفاظ على هذه الحدود المترامية،رغماً عن أصحاب الحدود الأصليين وهي لا تبدو مستعدة للتفاوض على أي من هذه الحدود حتى الآن إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، أو إلى أن ينتهي التفاوض على الملف النووي داخل حدودها الأصلية.

## معضلات القوة الناعمة الايرانية

ينشغل الخليج بإيران، وتنشغل إيران بالخليج هذا ما كان عليه الحال، وهو ما سيبقى بلا ريب؛ فللجوار مقتضياته وانشغالاته ومكاسبه وأعبائه لكن التقطت إيران أنفاسها ثم تمددت، بعد مخاض التحول الثوري والانغماس في مستنقع الحرب وكان تمدداً معنوياً قبل تسجيل الحضور المباشر في بعض الجبهات، وهو ما يلفت النظر إلى التجربة الإيرانية في تطوير القوة الناعمة وتوظيفها.

والحقّ أنّ حالة إيران جسدت تجربة مهمة من نماذج القوة الناعمة على مستوى الإقليم، فقد عملت بفعالية رغم واقع الحصار والعزل متعدد المستويات، المفروض على طهران منذ ثورة ١٩٧٩، علاوة على أنها أتت من بلد تبنّى خطاباً استثنائياً في السياسة والإعلام والثقافة.

وما لا يصح تجاهله في قراءة التجربة؛ أنّ إيران نشطت في المجالات الثقافية والفنية والأكاديمية، ووظفت حضورها في هذه المجالات للإطلال على الإقليم ككل وعلى العالم بمجتمعاته وثقافاته وعملت المراكز الثقافية الإيرانية كنقطة ارتكاز مباشرة في دعم الدبلوماسية الشعبية في مجالها الثقافي، خاصة مع انسداد مجالات التواصل السياسي الفاعل خلال حقبة الحصار والعزل الطويلة التي أعقبت الثورة الإيرانية وتميّزت السفارات الإيرانية بالحركة الدؤوبة في التواصل، حتى عدّها بعضهم من بين أنشط دول العالم الثالث تقريباً في الدبلوماسية الشعبية والتواصل مع المجتمع المدني، وشمل ذلك أماكن عانت من التجاهل؛ مثل أمريكا اللاتينية وأفريقيا والأقليات المسلمة حول العالم.

وليس خافياً أنّ التجربة الإيرانية توسعت في دبلوماسية المؤتمرات، فاتخذت منها مجال نشط لجذب نخب العالم إلى إيران ومحاولة حمل اهتمامات إيران إلى نخب العالم وتتضافر المؤشرات على أنّ إيران أدارت برامج كرّستها لاستقطاب النخب والكفاءات والأكاديميين

والمفكرين، من أقاليم عالمية شتى، في جهود متعددة المستويات تحركت وفق أنظمة محددة، حسب المؤشرات المتاحة وباشرت إيران مخاطبة عالم متنوع اللغات والثقافات، فسعت إلى تقديم خطاب إعلامي فنضجت تجارب مثل برس تي في بالإنجليزية وهسبان تي في بالإسبانية، وهذه الأخيرة تخاطب واحدة من أوسع لغات العالم انتشاراً، علاوة على محاولات متعددة على الانترنت.

لكن القوة الإيرانية الناعمة تحمل حزمة من المعضلات في أحشائها، فهي تفتعل تناقضات جسيمة بالعمل مثلاً ضمن المجتمعات والشعوب بشكل عام؛ وتركيز التأثير والتواصل والاستقطاب ضمن نطاقات الشيعة والمنظمات والهيئات المعبِّرة عنها بصفة خاصة ولقد أطاح هذا التناقض بكثير من فرص التأثير والتواصل الإيرانية في نطاق العالم العربي والإسلامي، كما أوقع الشيعة في فخاخ الاستعمال الاستراتيجي للخارج الذي يهدد فرص تواصلها مع النسيج الاجتماعي المحلي.

كما ولغ إعلام إيران، أو المحسوب عليها، في خطاب التأجيج الطائفي والحملات المذهبية، فألحق أضراراً جسيمة بالقوة الإيرانية الناعمة، حتى في نطاقات أبدت تعاطفاً مع نموذج الحكم الإيراني بعد الثورة، كبعض العلماء والحركات الإسلامية والأوساط المتدينة.

انكشف عجز القوة الإيرانية الناعمة عن تحقيق مكتسبات فعلية على مستوى الصورة العامة، فقد مضت في التركيز على الاستقطاب الفئوي ضمن المربّعات الطائفية،وعلى جذب أفراد من الصفوة وتوظيفهم لصالحها، وخسرت مقابل ذلك شعوباً وقبائل عبر الأمة الممتدة ثم كان ما كان مع تصاعد الصراعات في العالم العربي، وإبحار إيران المباشر أو غير المباشر في بحيرات الدم التي يرتفع منسوبها كل صباح.

**الثقافة الإيرانية الاستراتيجية:**

فى مواجهة القوة الناعمة تميل واشنطن إلى التركيز على أصول القوة الخشنة لطهران على حساب قدرات قوتها الناعمة ومع ذلك، قد تكون قوة إيران الناعمة أكثر فعالية كسبيل لاستعراض النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط وربما تشكل تهديداً أكبر على المدى الطويل للمصالح الأمريكية في المنطقة.

وتميل واشنطن إلى التركيز على تلك الأصول في القوة الخشنة التي تمنحها تقدير أفضل من غيرها، وليس على تلك التي يمكن أن تكون ذات قيمة أكبر لإيران في أية حرب مستقبلية وهكذا استثمرت أمريكا موارد هائلة في بناء دفاعات ضد ترسانة إيران الصاروخية لكنها تفتقد وسائل مواجهة قوات القذائف الكبيرة لإيران وقد بدأت الولايات المتحدة مؤخراً

فقط في إدراك التهديد الذي تفرضه قدرات إيران الحربية البحرية غير التقليدية.

وعن الحرب الدعائية والنفسية يميل صناع السياسة الأمريكيون إلى إساءة تقدير قيمة أداة المعلومات للسلطة الوطنية وعلى النقيض من ذلك، يعتبر صناع السياسة الإيرانيون أن أنشطة المعلومات هي الخط الحاسم لعملياتهم.

ولم تكن الولايات المتحدة فعالة في منع طهران من استغلال الغموض الذي يكتنف الكثير من سياساتها سواء العمليات التي يقوم بها وكلاؤها أو برنامجها النووي والاستخبارات التفصيلية وأنشطة المعلومات العدوانية وسياسة الثأر الموثوقة، جميعها محورية في منع طهران من استغلال سياسة الغموض التي تنتهجها.

وتستند استراتيجيات إيران في المراوغة والتأجيل والإستنزاف على افتراض أن الوقت يعمل لصالحها ومع ذلك تُظهر خبرة إيران مخاطر مثل هذه الاستراتيجيات كالمخاطرة بالانهيار والهزيمة، فكانت قد اضطرت إلى إنهاء الحرب بينها وبين العراق دون أي شيء يُظهر جهودها كما أن التحديات التي تواجه اللعبة الطويلة الحالية التي تمارسها إيران تشمل معارضة داخلية من المحتمل أن تكون قوية وإن كانت هامدة حالياً وتحديات اقتصادية كبرى وبالأخص هبوط صناعة

النفط لديها إن فشلت في جذب الاستثمارات الأجنبية واحتمال خسارة حليفها السوري بسبب الانتفاضة الشعبية ضد نظام الأسد ويتعين على الولايات المتحدة مواصلة استغلال نقاط الضعف تلك لتعطيل الاستراتيجية طويلة المدى التي تنتهجها طهران.

## القوة الخشنة والقوة الناعمة في الاستراتيجية الإيرانية

لم تتجاهل إيران أصول قوتها الخشنة وقد سعت لنيل قدرات مستقلة من خلال استغلال قربها من مضيق هرمز والخليج ونقاط ضعف خصومها وتحديداً كراهية الولايات المتحدة لتفضيلها الحروب القصيرة كما تسعى إيران لتقوية البنية التحتية التي ستحتاج إليها لبناء أسلحة نووية لو قررت فعل ذلك.

وكثيراً ما اعتمدت إيران على بدائل مسلحة مثل حزب الله اللبناني والجماعات الخاصة الشيعية في العراق لإبراز النفوذ في الخارج حيث كان حزب الله رائداً في استخدام التفجيرات الانتحارية وصواريخ ساحات القتال كأنظمة قصف استراتيجية ضد إسرائيل، وشنت حماس حملات تفجير انتحارية وكانت سبّاقة في استخدام الصواريخ المحلية الصنع، ضد إسرائيل أيضاً، في حين أن الجماعات الخاصة الشيعية في العراق قد استخدمت قذائف التفجير الثاقبة والعبوات الطائرة ضد القوات الأمريكية هناك وإذا قامت إسرائيل أو الولايات المتحدة بمهاجمة البنية التحتية

النووية الإيرانية، فمن المرجح أن تنتقم إيران عن طريق حزب الله والجماعات الخاصة الشيعية في العراق ووكلاء آخرين.

كانت المملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي قد احتلتا إيران، وخشيت من قيام احتلال آخر بعد فشل إنقاذ الرهائن الأمريكيين عام ١٩٨٠ وغزو الولايات المتحدة للعراق عام ٢٠٠٣ وللتعامل مع تهديد الغزو المتظر خلقت إيران الباسيج وهي ميليشيا شعبية مساعدة يسيطر عليها فيلق الحرس الثوري مهمتها الأساسية هي الأمن الداخلي وشن حرب شعبية ضد الغازي وسوف تقوم القوات البحرية النظامية والأخرى التابعة لفيلق الحرس الثوري بتوظيف تكتيكات السرب والألغام والصواريخ المضادة للسفن والقوارب الصغيرة والغواصات الصغيرة والتقليدية والسباحين المقاتلين والصواريخ والقذائف لتعطيل الملاحة في الخليج والتحكم في المرور عبر مضيق هرمز.

وعادة ما يتم تصور قوة الصواريخ الإيرانية وبشكل رئيسي كوسيلة لحمل شحنات متفجرة غير تقليدية وتُرى بشكل أدق على أنها قوة ردع تقليدية و قتالية لها قدرة على حمل شحنات متفجرة غير تقليدية وتنتج إيران عائلة كبيرة من الصواريخ التقليدية التي قد يصل مداها إلى ٣٠٠كم وهي تنوي استخدامها على الأرجح في إكمال قوتها الصاروخية كسلاح إرهاب شامل ضد مدن العدو وهذا التأكيد على أنظمة القصف

الاستراتيجية التقليدية درس مستفاد من الحرب الإيرانية العراقية عندما أدت هجمات الصواريخ التقليدية على طهران أثناء حرب المدن عام ١٩٨٨ إلى إجلاء ربع سكان المدينة مما ساهم في إضعاف معنويات الشعب الإيراني ثم أدى في النهاية إلى قرار إنهاء الحرب ولطالما أُغفل جانب الصواريخ الإيرانية ضمن هيكل قوتها العسكرية حيث ينصب التركيز عموماً على عائلة صواريخ شهاب الأكبر والأكثر قدرة التي تعطي إيران مداها الطويل وليس لدى الولايات المتحدة أو جيران إيران العرب القدرة على مواجهة قواتها الصاروخية في هذا الوقت، وحالياً تتمتع إسرائيل فقط بالقدرة على إسقاط الصواريخ والقذائف على حد سواء.

وفي تقييم التهديد الذي تفرضه طهران يميل المخططون العسكريون وصناع السياسة الأمريكية إلى التركيز على قدرات القوة الخشنة لإيران وتحديداً قدراتها الحربية غير التقليدية قوة القدس وحزب الله وقدراتها المكافحة للوصول والمانعة للوصول إلى أهداف معينة قوارب صغيرة وألغام وصواريخ مضادة للسفن وقواتها الصاروخية وبرنامجها النووي وهذا يعكس انشغالاً أمريكياً بالقدرات التي يمكن أن تنتج آثاراً فيزيائية وهو ما يبدو متجذراً في التصور الأمريكي للقوة العسكرية التي لا تعبر بالضرورة عن آراء إيران .

وهكذا كان المسؤولون الأمريكيون قلقين من أن الجيش العراقي سوف يكون غير جاهز لتأمين المجال الجوي والمياه العراقية بعد رحيل القوات الأمريكية رغم أن النفوذ السياسي والقوة الناعمة لإيران وتحديداً أنشطتها الاقتصادية والدينية والإعلامية هما على الأرجح اللذان يشكلان تهديداً أكبر على المدى الطويل ضد سيادة واستقلال العراق.

العناصر غير الحركية: وتشتمل قوة إيران الناعمة على العديد من العناصر غير الحركية للقوة الوطنية:

إدارة السمعة والصورة:تقدم طهران نفسها على أنها شريك يمكن الاعتماد عليه وخصم خطير، وتدعم نظرية التفوق التي تؤكد أنها قوة صاعدة، يقف الله والتاريخ في صفها ومع ذلك، تقلصت فعالية تلك الرسائل بسبب الميل إلى المبالغة في الوعود والإخفاق في الإنجاز فضلاً عن المشاكل السياسية والاقتصادية الداخلية والميل إلى إعطاء المحاضرات إلى العرب والآخرين ثم التنازل لهم بعد ذلك.

تصدير الإسلام الثوري: تسعى طهران لأن يكون تفسيرها للإسلام هو الأول بين مجتمعات الشيعة حول العالم عن طريق إنفاق أموال طائلة لدعم أنشطة الملالي المدربين في قم والمتشربين لأيديولوجية ولاية الفقيه واختيار أو إزاحة الملالي المدربين في أماكن أخرى مثل النجف وتسعى لخلق روابط التضامن مع مجتمعات الشيعة حول العالم التي

يمكن أن تكون بمثابة قواعد دعم خارجية لسياساتها وكحلفاء في حال تعرضها للهجوم.

وكلاء الميليشيا: أينما كانت هناك مجتمعات شيعية محاصرة ودول ضعيفة، خلقت إيران ميليشيات تكون وكيلة عنها مثل حزب الله اللبناني والعديد من المنظمات التي هي نسخة من حزب الله في العراق مثل كتائب حزب الله وعصائب أهل الحق وكتائب اليوم الموعود للدفاع عن مصالح المجتمع الشيعي المحلي وتلبية طلباته ونشر ثقافة المقاومة والجهاد والاستشهاد وقد استثمر حزب الله إنجازاته العسكرية كتنظيم مقاومة فحولها بمناورة إلى ثروة سياسية، وهو نفس ما تحاول فعله تلك المنظمات التي هي نسخة منه في العراق.

النفوذ الاقتصادي: تمارس طهران التجارة والاستثمار مع دول أخرى بغرض الربح وتعزيز الاعتماد على بعضها البعض بحيث يمكن أن تستغل ذلك لصالحها وفي العراق على سبيل المثال استخدمت الصفقات التجارية لتعزيز الحلفاء المحليين وأغرقت السوق المحلية بسلع استهلاكية مدعومة فأدت إلى إضعاف قطاعات الزراعة والصناعة العراقية وعلاوة على ذلك، يؤمن الكثير من العراقيين بأن اعتماد العراق على إيران في بعض احتياجاتها من الكهرباء هو سبيل تتلاعب به طهران لأغراض سياسية فعلى سبيل المثال، في يونيو عام ٢٠١٠ قيل إن إيران قد

خفضت إمدادات الكهرباء للبصرة لتعزيز مزاعم الصدريين بأن الحكومة كانت تتباطأ في توصيل الخدمات لهم.

الدعاية والتشويش: تتنافس إيران على قلوب وعقول العرب من خلال البث الإخباري باللغة العربية الذي يعكس خط طهران الدعائي وتُظهر بيانات الاستطلاعات أن العرب بل حتى الشيعة العراقيون يشعرون بالريبة تجاه إيران ولا يعتبرون طريقة الحكم فيها بوجه عام نموذجاً قابلاً للتطبيق وتفسر المواقف الشعبية السبب في أن طهران ستواصل الاعتماد على القوة الناعمة وأجهزتها الأمنية وأنشطتها السرية لإظهار النفوذ في العالم العربي.

وسوف تعتمد الفرص المستقبلية لقوة إيران الناعمة على الاتجاه المستقبلي للعلاقات العراقية الإيرانية والوجهة العامة للعلاقات الإيرانية العربية والسنية الشيعية في الخليج في أعقاب التدخل الذي قادته السعودية في البحرين والمكانة المستقبلية لبرنامج إيران النووي الذي ربما يكون هو مصدر التمكين الحربي النفسي النهائي لطهران في المنطقة وما وراءها.

## بنية القوة الإيرانية وآفاقها

يمثل قياس القوة لدولة معينة أحد إشكالات دراسة العلاقات الدولية، وقد تعددت المناهج في هذا النطاق، فبنى البعض قياسه على متغير واحد كالمتغير العسكري، أو الاقتصادي بينما تم القياس لدى آخرين على أساس تعدد متغيرات القوة والسكان، المساحة، القدرة العسكرية، إجمالي الناتج المحلي، التطور التكنولوجي، الكفاءة الإدارية... إلخ.
وشكّلت دراسة كليفورد جيرمان عام ١٩٦٠ محاولة جادة في مجال ضبط قياس القوة للدولة من خلال المعادلة التالية: قوة الدولة= القدرات النووية (المساحة + السكان + حجم القاعدة الصناعية + حجم القوة العسكرية) وقد تمت تجزئة كل متغير من المتغيرات السابقة إلى متغيرات فرعية، وأعطى كل متغير فرعي وزنًا بمقدار ما يُرى له من أهمية في تشكيل المتغير الرئيسي أما الباحث فكس Wilhelm Fucks فقد وضع معادلة تقوم على قياس القوة على النحو التالي(٣): القوة = إنتاج الطاقة بالكيلو واط + إنتاج الصلب بالطن x الجذر التكعيبي لعدد السكان.

أما ديفيد سنجر J. David Singer فقد قدّم نموذجًا للقياس يقوم على المعادلة التالية: القوة = نسبة سكان الدولة من العالم + نسبة الحضر إلى سكان الدولة + نسبة إنتاج الدولة من الصلب والحديد إلى العالم + نسبة استهلاك الطاقة في الدولة إلى العالم + نسبة الإنفاق العسكري إلى العالم + نسبة العسكريين إلى عدد السكان÷ ٦.

أما بول كينيدي Paul Kennedy فقد ربط بين صعود وهبوط القوى العظمى من خلال متغيرين، هما: النمو الاقتصادي والقوة العسكرية، وهو أمر مكّنه من التنبؤ بتراجع المكانة الأميركية منذ حوالي ربع قرن غير أن كافة هذه المناهج بقيت موضع جدل كبير حتى الساعة، لاسيما أنه لابد من الأخذ في الاعتبار عددًا من الجوانب مثل:

حجم القوة مقاسة من خلال متغيراتها المادية والمعنوية.

فن إدارة القوة، أي الذكاء والرشد في توظيف القوة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب أو أقل قدر من الخسائر، وهو أمر ليس من السهل قياسه.

نتائج القوة، أي أن معيار القوة هو فيما تحققه من نتائج وليس في الكم بالمعنى الرياضي المباشر.

بناء على ما سبق فإن قياس القوة الإيرانية لابد أن يتبنى منظورًا معينًا لقياس القوة من ناحية، مع الأخذ في الاعتبار نسبية القوة خاصة قياساً لقوة الخصوم .

## صحوة الشيعة بوصفها قوة إيران الناعمة

تمثل إيران حالة معقدة بالنسبة إلى العالم الخارجي؛ فمنذ الثورة سنة ١٩٧٩، وعلاقات إيران مع جيرانها العرب وغير العرب وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية وكثير من الدول الغربية كانت صعبة على

أقل تقدير وأدى العداء المتأصل مع الولايات المتحدة وبريطانيا إلى عداء بين إيران ومعظم الدول العربية، لاسيما مع جيرانها في منطقة الخليج ؛ فالعلاقات الوثيقة بين دول الخليج والغرب جعلت الجمهورية الإسلامية في إيران تنظر إلى هذه الدول بوصفها أعداء محتملين ومع ذلك، لم تخض إيران الإسلامية حرب مع الدول العربية الموالية للغرب، خاضتها مع حليف السوفيت، عراق صدام حسين.

وكان من شأن الحرب التي استمرت ثمانية أعوام مع العراق أن عمّقت العداء بين إيران والغرب وكذلك مع العالم العربي كله باستثناء سوريا وبعد ٢٣عاماً من انتهاء الحرب مع العراق، ظلت علاقات إيران مع كثير من الدول العربية، لاسيما دول الخليج المجاورة لها، باردة وغير ودية كما كانت خلال الحرب كما أن الصراع مع الغرب مستمرٌ بلا هوادة وفي حين يبدو أن برنامج إيران النووي هو لُبّ الصراع، نسي الكثيرون أن الصراع بين إيران والغرب، خاصة مع الولايات المتحدة، يتجاوز برنامج إيران النووي المثير للجدل وأدى التزام إيران بموقفها الفريد من نوعه على مدى ٣٣ سنة إلى العديد من النظريات والتحليلات والتفسيرات، بعضها واقعي وبعضها الآخر كان مضلّلاً وساذجًا إلى درجة لا تُصدَّق.

لقد نجت إيران من الحرب الشرسة التي استمرت ثمانية أعوام مع العراق، وهي الحرب التي تلقّى فيها العراق دعمًا ماليًا كبيرا من دول الخليج العربية الغنية،وأسلحة دفاع وهجوم ثقيلة من الغرب والشرق لاسيما من الاتحاد السوفيتي، واستخدم فيها الأسلحة الكيميائية على نطاق واسع، بينما ظل العالم الخارجي يغضّ الطرف عن فظائع صدام حسين، كما نجت إيران من ثلاثة عقود من العقوبات التي قادتها الولايات المتحدة ورغم أن العقوبات اشتدت كثيراً الماضية، والبلاد تواجه تهديداً عسكرياً خطراً من إسرائيل والولايات المتحدة، إلا أن النظام لا تبدو عليه علامات الذعر من الغرب أو الاستسلام له، وإن كان الضرر قد لحق بإيران بلا شك؛ حيث لم تكن الحياة سهلة بالنسبة إلى معظم الإيرانيين خلال كثيرٍ من السنوات الثلاثة والثلاثين الماضية ومع ذلك، يبدو القادة الإيرانيون واثقين من دعم القاعدة الشعبية،لاسيما في المناطق الريفية من البلاد.

## الإسلام الشيعي والقوة الناعمة

يشكّل الدين قبل كل شيء أقوى سلاح في ترسانة القوة الناعمة لدى إيران كما تشكّل معاداة الغرب،لاسيما الولايات المتحدة، ومعاداة إسرائيل العنصرين الثاني والثالث من عناصر قوتها الناعمة ويشكّل المذهب الشيعي، والتفسير الراديكالي الذي صاغته المؤسسة الدينية الإيرانية

خلال السنوات الماضية، العنصر الرابع من عناصر القوة الناعمة أما العنصر الخامس فيكمن في شعور الإيرانيين القومي الذي يُقارب الشوفينية وسنتناول ما يمكن تسميته أقوى ركائز القوة الناعمة لدى النظام الإسلامي: الإسلام.

برز الإسلام الشيعي بوصفه أعتى قوة خلال الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩؛ فقد بلغت قوته أنه لم يَقُد الكفاح الثوري ضد الشاه محمد رضا بهلوي فحسب، بل شكّل في نهاية المطاف البنية الأيديولوجية الفوقية لإيران الجديدة بعد الثورة علاوةً على ذلك، ظل الإسلام القوة المهيمنة في الجمهورية الإسلامية على مدى ٣٣ سنة خَلَت لم يفهم كثيرٌ من المحللين الغربيين فهمًا صحيحًا ودقيقًا أن دور العقيدة لم يقتصر فقط على تشكيل نسيج إيران المعاصرة، بل تعدّاه إلى تشكيل علاقاتها مع العالم الخارجي، وكانت السمة الأبرز للإسلام الإيراني هي الراديكالية ولم تبرز هذه الميزة بوصفها أهم ما يميز الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ فحسب،ولكن قوتها تنامت في إيران ما بعد الثورة وليس من قبيل المبالغة القول: إن هذه السمة بالذات أثّرت في معظم علاقات إيران مع العالم الخارجي أو أعطتها شكلها؛ فمعاداة النظام الإيراني للغرب، والدول العربية المحافظة، وإصراره على إبادة إسرائيل، وبرنامجه النووي المثير للجدل، ودعمه للجماعات الفلسطينية مثل حماس والجهاد الإسلامي، وعلاقاته مع حزب الله، ودعمه لنظام الأسد في سوريا، بل كل

تعامل آخر للنظام الإسلامي في إيران مع العالم الخارجي، ينبع من النظرة العقيدية التي يتمسك بها قادة إيران وتفسير قادة إيران للإسلام هو القوة الدافعة التي تشكّل إستراتيجيتهم داخل البلاد وخارجها لذلك، فإن فهم هذا الإسلام الراديكالي الذي يؤمن به القادة الإيرانيون يُعدَّ شرطًا أساسيًا لفهم إستراتيجيات وسياسات النظام الإيراني داخليًا وخارجيًا.

## التشيع في إيران

دخلت إيران في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، إلا أن هناك خلافاتٍ بشأن كيفية تحول الإيرانيين إلى الإسلام؛ يقول القوميون الإيرانيون: إن الفاتحين العرب استخدموا القوة لإجبار الإيرانيين على الدخول في الإسلام أما الإيرانيون الأكثر تدينًا فيقولون: إن ظلم النظام الحاكم في إيران واستبداده جعلا العديد من الإيرانيين يرحبون بالفاتحين ويعتنقون الإسلام طوعًا وسواء اعتنق الإيرانيون الإسلام طوعًا أم كَرْهًا؛ فالحقيقة هي أن إيران أصبحت جزءًا من الإمبراطورية الإسلامية الجديدة الناشئة، وصار الإيرانيون مسلمين بذات الطريقة التي أصبح فيها عرب شبه الجزيرة العربية مسلمين بنهاية القرن السابع الميلادي وعلى عكس ما يعتقد الكثيرون،

لم يكن الإيرانيون شيعة،رغم وجود أقلية شيعية ضئيلة متناثرة في جميع أنحاء إيران، كما هي الحال في البلاد العربية وخلال القرون اللاحقة برز عدد من السلالات الحاكمة المحلية الإيرانية في الجزء الشمالي الشرقي من إيران البعيد جدًا عن تأثير حكم بني العباس في بغداد كان بعض هؤلاء الولاة أكثر استقلالاً عن بغداد بينما عدَّ الآخرون أنفسهم خدمًا للخلفاء، لكنهم جميعًا ظلوا على ولائهم للخلفاء العباسيين في بغداد وفي الوقت نفسه كانوا سُنة استمرت هذه العلاقة لأكثر من ثمانية قرون وفي بداية القرن السادس عشر تمكن تحالف من القبائل التركية من الأناضول والجزء الشمالي من إيران بالقرب من بحر قزوين من تشكيل سلالة جديدة تسمى الصفويين جاء ظهور هذه القوة الجديدة تقريبًا على ذات النمط الذي سارت عليه إيران خلال تلك القرون الثمانية التي اعتنقت فيها الإسلام لكن كان هناك فرق جوهري بين هذه السلطة الجديدة وبقية القوى التي ظهرت خلال تلك القرون الثمانية؛ حيث كان الصفويون شيعة، وحين تعاظمت قوتهم أجبروا الإيرانيين على التشيع.

تبيَّن أن تشكيل السلالة الصفوية في إيران في بداية القرن السادس عشر هو نقطة تحول في تاريخ البلاد منذ اعتناقها الإسلام، كما كان أيضًا علامة في تاريخ التشيُّع لقد ظهر التشيع بعد وفاة النبي محمد ص بوصفه شُعبةً من شُعَب الإسلام،وكان نزاع الشيعة مع جُمهور المسلمين أولاً وأخيرًا نزاعًا سياسيًا؛ إذ نشأ من الخلاف على من يخلف النبي

فالشيعة يعتقدون أن عليًّا، ابن عم النبي وصهره، كان يجب أن يخلفه، كما اعتقدوا لاحقًا أن نسل علي هم وحدهم الحكام الشرعيون في الإسلام ورفضوا مبايعة الخلفاء الرسميين وكانوا يعُدّون جميع الخلفاء، مهما بلغ ثُقاهم، نواصب لا شرعية لهم وفي الحقيقة، يرى الشيعة أنه لا تقوم حكومة إسلامية شرعية إلا إذا كان على رأسها إمامٌ معصومٌ من الشيعة.

ومنذ غزو العراق وسقوط صدام حسين عام ٢٠٠٣، جرى كلام كثير عما يسمى الهلال الشيعي وتزعم هذه النظرية في أبسط أشكالها أن النظام الإيراني يحاول خلق منطقة هيمنة شيعية تمتد من إيران إلى العراق وسوريا وتنتهي في لبنان ويهدف هذا الهلال في المقام الأول إلى محاربة السُّنَّة وزعزعة استقرار الأنظمة العربية الموالية للغرب ويشير أصحاب نظرية الهلال الشيعي إلى الدعم الإيراني للنظام العراقي ذي الغالبية الشيعية، ونظام بشار الأسد في سوريا وحزب الله في لبنان كما يشيرون كذلك إلى علاقات طهران العدائية تجاه معظم الأنظمة العربية في المنطقة؛ فالأزمة السورية التي اصطفت فيها قطر والسعودية وتركيا ضد إيران والنظام السوري ذي الغالبية العلوية أشعلت الصراع بين الشيعة والسنة.

فشلت الصحوة الشيعية كقوة سياسية في أن يكون لها أثرٌ كبير بين الشيعة خارج إيران؛ فالشيعة خارج إيران لا يستحقون دعم إيران إلا إذا

كانوا معادين للولايات المتحدة، وإلا فإن النظام الإسلامي في طهران سيتجاهلهم وبمعنى أوسع، لم تُفلح الصحوة الشيعية، كعقيدة سياسية، في استقطاب الشيعة الآخرين في المنطقة؛ فشيعة البحرين، على سبيل المثال،يستلهمون القيم الديمقراطية من الربيع العربي أكثر مما يستلهمونها من موقف إيران المتشدد في عدائه للولايات المتحدة والغرب وبشكل عام ينطبق نفس الانطباع فيما يبدو على حركات الشيعة الأخرى في مختلف الدول العربية في المنطقة بما في ذلك شيعة العراق.